

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمن النفسي في القرآن الكريم وأثره على فكر الإنسان

بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري

«المفاهيم والتحديات»

في الفترة من ٢٢-٢٥ جماد الأول ١٤٣٠ هـ

كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات

الأمن الفكري بجامعة الملك سعود

د. عبد الله بن محمد الجيوسي

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة اليرموك - الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمن النفسي في القرآن الكريم وأثره على فكر الإنسان

ملخص البحث

تهدف هذه الورقة إلى بحث مسألة الاستقرار الفكري لدى الإنسان والدور النفسي في هذا الاستقرار وذلك من خلال ما قدمته نصوص القرآن بهذا الشأن.

تناولت الدراسة مفهوم الامن النفسي ومظاهره ومرتكزاته، مبرزة دور الايمان في تحقيقه، وتركز الدراسة على ما قدمه القرآن من نماذج بشرية عبر القصة القرآنية كان الامن مطلبها ، وأخرى فقدت مقومات الامن فانقلبت حياتها وبدلت نعمتها، وأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يكسبون.

كما عرضت الدراسة لمقومات الامن النفسي التي تكمن في التشريعات التي فصلها القرآن الكريم. وتركز على أثر العقيدة الصحيحة في تحقيق الاستقرار النفسي منطلقاً من واقع قوله تعالى: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون).

وتقدم الدراسة نموذجاً عملياً لهذا الاستقرار من خلال الجيل الذي أوجده القرآن الكريم وتبرز جوانب التقدم الفكري الناجم عن هذا الاستقرار النفسي والذي تمثل في النهضة الفكرية التي نعمت بها البشرية قروناً متطاولة، وتبين النماذج الحقيقة لطبيعة التعايش مع جميع أطراف المجتمع، مهما كان مركزهم في المجتمع ، وكيفما كان منطق تفكيرهم.

مقدمة

يعد الاستقرار النفسي مطلباً بارزاً من مطالب النفس الإنسانية، وقد اودع الله في فطرة الإنسان ميلاً إلى الاستقرار حينما جعل النفس ترتبط بالأرض من أول لحظة وجد فيها الإنسان، وقد ربط الله سبحانه هدف الإنسان الأكبر في الوجود بعنصر الأرض يبحث فيها عن كيفية تحقيق مبدأ عمارتها، ولعل أول قصة قصها الله - سبحانه - علينا تبرز مزيج الارتباط بين الإنسان والأرض، ولا عجب فرحلة الإنسان ممزوجة بطين الأرض في مراحلها الثلاث، فقد قال سبحانه: (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى).

ولعل قصة الصراع من أول بدء الإنسان هي التي نجمت عنها العداوة بين الإنسان والشیطان، وكان السبيل الذي تمكن الشيطان من خلاله أن يخرج الإنسان من مرحلة الاستقرار الأولى بحجة أنه يدلّه على سبيل الاستقرار: (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى). لكن وأين للإنسان أن يحقق الاستقرار بغير الطريق التي رسمها له من أبعده؟ وكانت النتيجة أن أخرج الإنسان من الجنة التي هي دار القرار لتبدأ رحلة العودة منذ تلك اللحظة محملة بشتى أنواع التحديات والأخطار.

ويبقى الاستقرار النفسي مطلباً للنفس تبحث عنه لتصل إلى الخطوة التي فقدتها أولاً. في هذا الإطار ندرك سر التناغم المتكرر في نصوص القرآن بين دعوة القرآن إلى التفكير في مشاهد الأرض من جهة والتفكير في أعماق النفس من جهة أخرى، ودعوته المتكررة للتأمل في تلك الأرض وتسميتها آيات (وفي الأرض آيات للموقنين، وهذه النفس وانطوائها على آيات: (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) و(ومن آياته أن خلق لكم...)) وقوله: (سنريهم آياتنا...

وتأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على أبرز معالم هذا الاستقرار وسبل تحقيقه، فما له في الحقيقة إلا سبيل واحد، هو السبيل الذي أخبر به خالق الإنسان، فهو الأعلم بحاله وما يصلحه، كما قال سبحانه - (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير).

وقد يكون للارتباط الوثيق بين فطرة الإنسان وما أمر به خالق الأكوان أكبر الدور في تقريب المسافة بين أجزاء الكون المترامي الأطراف وحقائق النفس البشرية المجهولة المعالم، إذ الخوف الذي يعتري النفس البشرية عادة إما مصدره اتساع دائرة ما يحيط به - إن أمن جهة لم يأمن الأخرى -، وإما مصدره من المجاهيل التي تفاجئته بكل جديد، وقد أمّن الله للإنسان هاتين الجهتين بما أرشده إلى حقائقهما والسبيل إلى التعامل معهما وفق إعمال الفكر السديد.

مفهوم الامن النفسي

قال ابن فارس: الهزمة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب، والآخر التصديق. والمعنيان متدانيان. قال الخليل: الأَمَنَةُ مِنَ الأَمْنِ. والأمان إعطاء الأَمَنَةِ. والأمانة ضدّ الخيانة. أَمِنَ: يقال أَمِنْتُ الرَّجُلَ أَمْنًا وَأَمَنَةً وَأَمَانًا، وآمَنِي يُؤْمِنِي إِيْمَانًا^١. وقال الراغب^٢:

أصل الأَمْنِ: طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأَمْنِ والأمانة والأمان في الأصل مصادر، ويجعل الأمان تارة اسما للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأَمْنِ، وتارة اسما لما يؤمن عليه الإنسان. فالأَمْنِ إذن معنى مرتبط بالنفس وعلامته السكون والاستقرار.

يقال: أَمِنَ أمانة : كان أمينًا، وآمَنَ إِيْمَانًا: صار ذا أَمْنٍ، وآمَنَ به وله: صدقه، ومن ذلك في التثنية: قوله تعالى: ﴿جَاءَ # \$ % پ پ پ * + چ يوسف: ٦٤﴾ وقوله تعالى: ﴿جَاءَ كَ g f i h ج طه: ٧١﴾ وقوله تعالى: ﴿جاء H G F E﴾
 ا ج ج چ چ يوسف: ١٧.

وقد ورد مادة (امن) بمشتقاتها في القرآن أكثر من ٨٠٠ مرة، وهذه الكثرة تدل بوضوح على أهمية الأَمْنِ والايمان للنفس البشرية المقصود بالأَمْنِ النفسي

هو من المفاهيم المركبة في علم النفس ، ويتداخل في مفهومه مع مصطلحات أخرى معروفة لدى علماء النفس، مثل: الأَمْنِ الذاتي ، الطمأنينة، التكيف الذاتي، الرضا عن الذات) . عرفه بعضهم بأنه عبارة عن حالة يكون فيها إشباع الحاجات مضمونا وغير معرض للخطر^٣ فقد عرفه بعضهم بمعنى: شعور المرء بقيمته وطمأنينته وثقته بنفسه. ويمكن تعريفه بأنه الشعور الذي يصل بالنفس إلى حالة من الاستقرار.

^١ - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا، مقاييس اللغة - : - المحقق : عبد السلام محمد هارون- : اتحاد الكتاب العرب ط : ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م. ص ١٣٨.

^٢ - الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل: المفردات في غريب القرآن/ - دار النشر / دار القلم - دمشق ص ٤٧.

^٣ انظر مستويات الأَمْنِ النفسي لدى الشباب الجامعي بحث ميداني عبر حضاري مقارن، مجلة جامعة دمشق، م ١٥ / ١٤ ص ١٦.

والأمن مطلب لكل نفس، فهي مجبولة على طلبه، تبحث عنه في مستوياته المختلفة، وقد ضمن الإسلام للنفس أنواع الأمن في شتى مجالاتها، وبين أنه لا يمكن للنفس أن تصل إلى حالة الطمأنينة هذه إلا في ظل الأيمان، ومن هذا المعنى نجد اشتقاق لفظ الإيمان، بله لقد ورد صريحاً أنه لا أمان إلا مع الأيمان، وهو ما يفهم من معنى القصر في قوله تعالى: ﴿جأ % \$ # " * + , ج الأنعام: ٨٢﴾

قال ابن عاشور: قوله: ﴿لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ أشارت اللام إلى أن الأمن مختص بهم وثابت، وهو أبلغ من أن يقال: آمنون... والضمير للفصل ليفيد قصر المسند على المسند إليه، أي الاهتداء مقصور على الذين آمنوا ولم يلبسوا بإيمانهم بظلم دون غيرهم^٤.

والأمن الذي يحققه الإيمان للمسلم ليس فقط أمن الدنيا بل في الآخرة، قال سبحانه: ﴿جأ % \$ # * + , ج النمل: ٨٩﴾

وإذا ما أردنا أن نتحدث عن أثر الإيمان في تحقيق الأمن النفسي، فإننا نجد القرآن بما فيه من توجيهات يهدف إلى تحقيق هذا المطلب، بل لقد أشارت بعض النصوص إلى أن الحياة المفعمة بالأمن والاستقرار والتي ينشدها الإنسان لا قبل له بها إلا باتباع أوامر الله، قال سبحانه: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، وقال سبحانه: ﴿ومن أعرض..

ولو تساءلنا عن الأثر الذي يحدثه الإيمان في النفوس فإن هذا يحتاج إلى بسط كبير لا يتسع المقام ذكره^٥، لكن يمكن إجمال بعض ما يتصل بتحقيق الأمن النفسي مباشرة في الآتي:

- ١- يزيد من ثقة الإنسان بنفسه .
- ٢- يزيد من قدرته على الصبر وتحمل مشاق الحياة.
- ٣- يبعث الأمن والطمأنينة في النفس، ويغمر الإنسان الشعور بالسعادة

^٤ التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى ١٣٩٣هـ):

الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان: ط ١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج ٦ ص ١٨٩.

^٥ للمزيد انظر: الخراشي، ناهد عبد العال: أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، (القاهرة: مطابع الأهرام، ط ١، ١٩٨٧م)، ص ٣١، وانظر الشويرع، محمد بن سعد، أثر الإيمان في إشاعة الاطمئنان، مجلة البحوث الإسلامية،

مستويات الأمن

أما مستويات الأمن الذي يحققه الإيمان للإنسان فهو في شتى المجالات: فهناك الأمن النفسي والأمن الفكري والأمن الاجتماعي والأمن الاقتصادي والأمن العسكري والأمن الغذائي. ولا شك أن أهم هذه المستويات لدى الإنسان هو الأمن النفسي، ولا يخفى أن هذه جميعا تتكامل لتحقيق مفهوم الأمن الكلي، وبين هذه الأنواع نجد الأمن الفكري وهو الذي يسهم في تحقيق الأمن النفسي، بمعنى أن سلامة الفكر مقدمة لتحقيق الأمن النفسي. والإنسان منذ أن عرف الحياة بدأ ينشد الأمن النفسي من خلال البحث في موجودات الحياة سعيا لتلبية متطلبات حياته، فهو في سبيل الحصول على الأمن النفسي يحب ويكره، ويكد ويتعب.⁶ ربما يكون من أشهر علماء النفس الذين تحدثوا عن مستويات الأمن النفسي من علماء النفس في العصر الحديث ماسلو (maslow) حيث ذكر مستويات لهذا الأمن النفسي، فهناك مستوى الإحساس بالأمن ومستوى عدم الإحساس به⁷، وكان ربط وجود الأمن بالحاجات التي تتطلبها النفس ضمن ما سمي بنظرية الحاجات⁸ والإحساس بالأمن من المتطلبات الأساسية للصحة النفسية التي يحتاج إليها الإنسان كي يكون إيجابيا ومتزنا ومنتجا.

لكن لماذا الأمن النفسي؟

يحقق الأمن النفسي للمرء عدة نجمل بعضها في الآتي مركزين منها على ما يتصل بالفوائد المتصلة بفكر الإنسان:

١ - تحقيق مبدأ الثبات والاستقرار وينشأ عنه عمق في التفكير، لأن المرء حينما يتحصل له الأمن النفسي ينطلق بفكره نحو التقدم، وهذا ما يترجم لنا سمو التفكير الذي كان عليه المسلمون بعد أن تحقق

⁶ للمزيد أنظر: الأمن النفسي وعلاقته بالتحصيل لدى طلاب رعاية الأيتام بالرياض، وهي رسالة جامعية قدمت لكلية الدراسات العليا / بأكاديمية الأمير نايف العربية للعلوم الأمنية، من الباحث: عبد الله حميد حمدان السهلي، غير مطبوعة، ص ٣٤.

⁷ للمزيد انظر درجة تحقق حالة الإحساس بالأمن لدى أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الأردنية الرسمية، فؤاد مصطفى حمد السلطان، وهي رسالة جامعية قدمت في الجامعة الأردنية لكلية التربية، ماجستير، عام ١٩٩٥م، غير مطبوعة، ص ٥-٧. وانظر مستويات الأمن النفسي لدى الشباب الجامعي بحث ميداني عبر حضاري مقارن - د/ على سعد - ص ١٦

لديهم الإيمان، فقد قدموا لنا نموذجاً راقياً في التفكير امتزجت فيه حقائق الواقع في الحياة الدنيا بطموح المستقبل المتصل بالمصير يوم القيامة، وكثيراً ما كانت تتصل الدنيا بالآخرة في أفكارهم، بل لقد كانت تمر بهم لحظات تختلط حقائق الآخرة معهم بمشاهدات الواقع، وتمر بهم لحظات يحسون خلالها أن مشاهد الواقع تحول أحياناً دون العيش في خيال المستقبل، وهذا ما يترجم لنا مقولة أحد الصحابة - رضي الله عنه - في إحدى الغزوات: "وأخرج تمرات فجعل يأكل منهن، ثم ألقى بقيتهن من يده، وقال: لئن أنا حييت حتى آكلهن إنها حياة طويلة! ثم تقدم فقاتل حتى قتل، رضي الله عنه"⁹.

٢- حفظ النفس من اليأس والقنوط، فكلما تناقص الأمن لدى النفس انشغلت بضده وتسرب إليها التفكير الذي يفضي بها إلى اليأس وينتهي بها الحال إلى القنوط، وتتعاظم لديها السلبية، والتفكير في كراهية الآخرين وحب الانتقام، وهذا ما يجعلنا نفهم كيف تفكر بعض العقول، وإلى أي حد ينتهي بها التفكير.

أما عن نتائج انعدام الأمن النفسي فيكفي أن نقول بأن النفس التي تفتقد الأمن تعيش حالة من الاضطراب في السلوك والفكر والوجدان والمشاعر والأحاسيس، ويستطيع الآخرون ملاحظة هذه التغيرات في حالة الشخصية.

وقد تتطور المسألة ليحل محل الاستقرار حالة الضغط النفسي، ونعني به ما يصيب الشخصية من مؤثرات تسهم في تغيير حالة الفرد، وقد عرفها بعضهم بأنها ظاهرة إنسانية ينشأ عنها خبرة سيئة ومؤلمة تؤثر على عملية التكيف لدى الفرد¹⁰. ويسوي بعضهم بين مصطلح القلق ومصطلح الضغط النفسي لكن بالجملة نجد أن القلق علامة من العلامات الدالة على حالة الاضطراب النفسي وترتبط بهذه الحالة حالات أخرى متصلة بالانفعالات والتكيف.

وحين تصل النفس إلى هذه الحالة نجد أنها بلا شك قد مرت بمراحل منها:

١- مرحلة التحذير أو الصدمة. يستعد المرء نتيحتها لمواجهة هذه التهديدات والأخطار

٢- مرحلة المقاومة حيث يستخدم المرء فيها طاقته المخزونة للتخلص من مصادر الضغوط النفسية.

⁹ هو الصحابي الجليل، عمير بن الحمام، والحديث رواه مسلم في صحيحه برقم (١٩٠١) من حديث أنس، رضي الله عنه.

¹⁰ انظر: مستوى ومصادر الضغط النفسي لدى طلبة السنة الأولى والثانية في كليات المجتمع الخاصة في عمان والزرقاء، نبيل محمد رجا الحسن، رسالة ماجستير في كلية التربية في الجامعة الأردنية نوقشت عام ١٩٩٥/ ص ٣.

٣- مرحلة الإنهاك: حيث تتضاءل قدرة الفرد في التغلب على مصادر هذه الضغوط وقد يفضي الاستسلام لهذه الحالة مع انعدام الإيمان إلى حالة من الإحباط والتفكير في الانتحار أو ما يشبهه^{١١}

وقد يلحق بما تقدم ما بحثه بعض علماء النفس ضمن ما يسمى بـ (الاحتراق النفسي) الذي هو عبارة عن حالة من الإنهاك تحدث نتيجة للإعياء والمتطلبات الزائدة والمستمرة الملقاة على الفرد^{١٢}

مرتكرات الأمن النفسي

توجد عوامل عدة تسهم في تحقيق الأمن النفسي، نحملها في الآتي مرتبين إياها حسب الأهمية

١- الفكر

الاستقرار الفكري دعامة اساسية لتحقيق الأمن النفسي:

يقيم القرآن وزنا كبيرا لفكر الإنسان ووجدانه، وينطلق من واقع الاعتراف بهذه الازدواجية للإنسان، فهو (أي الإنسان مكون من جسم وعقل وروح) ولا يمكن للإنسان ان تتحقق له معالم الاستقرار إلا إذا عاش حالة من التوازن بين هذه الأقسام، ولا يمكن للإنسان أن يكون سويا في سلوكه إلا إذا حافظ على هذا التوازن بين متطلبات النفس الإنسانية.

ولهذا وجدنا نصوص القرآن توازن في خطاباتها بين هذه العناصر، فتارة تخاطب العقل، وتسوق له الأدلة وتقنعه بالحجة والبرهان، وأخرى تخاطب فيه المشاعر والأحاسيس وتبرز الجوانب الوجدانية وفي هذا وذاك تتمزج النصوص لتزود الروح بما تنشده من حقائق تحقق للروح توازنها، فتكتمل للإنسان صورته التي إن عاش بينها أحس بمعالم الإنسانية ومعاني الاستقرار، واستطاع أن يسير خطوة إلى الأمام ليحقق دعائم الاستقرار.

والتفكير عملية ذهنية عميقة تشترك فيه أنشطة الإنسان النفسية الروحية والمعرفية والعاطفية تبنى على مقدمات حسية أو عقلية^{١٣}.

والاسلام لم يحجر على العقل في ميدان التفكير، فقد أعطى له كامل الحرية، ولعل في قوله تعالى (لا إكراه في الدين...) ما يؤكد هذه الحرية، وقد أبقى لمن خالفه مساحة واسعة تستوعب كل من أراد

^{١١} المرجع نفسه ص ١٠-١٢.

^{١٢} الطحانية، زياد لطفي سليمان: مستويات الاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الرياضية في الاردن وعلاقتها ببعض المتغيرات، رسالة ماجستير أعدت في كلية التربية في الجامعة الاردنية ١٩٩٥م، ص ٨.

^{١٣} الدغامين، زياد، منهج القرآن الكريم في صياغة تفكير الإنسان، مجلة دراسات (علوم الشريعة والقانون) الجامعة الأردنية مج ٣٢/ ع ١، ٢٠٠٥م/ ص ٢١٠.

العيش في ظل الإسلام، وفوق هذا نجد الإسلام لم يمارس قمع المشاعر والأحاسيس، بل كان يدفع بها إلى الانطلاق ويوجهها لتكون في جانب النفع والمصلحة على المستويين الفردي والجماعي.

٢- الصحة البدنية: إلى جانب الفكر السليم هناك الجسم السليم، فالإنسان لا يمكن أن ينتج فكراً سليماً إذا كان يفتقد صحة الجسم، ومن هنا وجدنا الإسلام يوجه الفرد إلى الاهتمام بالصحة البدنية وأرشد الفرد إلى ما يضمن له العيش ضمن هذه الصحة، وكفل له بما أباح من المأكولات والمشروبات وما حرم أن يكون اعتبار العقل هو الأصل، وما ليس فيه ضرر على الصحة، كما قال القرطبي: "ما التذة آكله وشاربه ولم يكن عليه فيه ضرر في الدنيا ولا في الآخرة"^{١٤} ولعل تقييد المباحات في كونها من الطيبات، والمحرمات بالخبائث كما في قوله تعالى (كلوا من طيبات ما رزقناكم) وقوله (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) ما يؤكد هذا الأساس، وهو ما أشار إليه بعض المفسرين من بيان معنى الطيبات^{١٥} وقد حرص الإسلام على تزويد المرء بالتوجيهات التي تحافظ على الصحة في مجال الأكل والشرب^{١٦}،

ومن ذلك: النهي عن الشرب في حالات معينة، كالنهي عن الشرب قائماً، كما في الحديث المروي عن أنس: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَجَرَ عَنِ الشُّرْبِ قَائِماً"^{١٧}، وفي هيئات معينة كالشرب من فم السقاء، كما في حديث أبي هريرة: "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الشُّرْبِ مِنْ فَمِ الْقُرْبَةِ أَوْ السَّقَاءِ وَأَنْ يَمْنَعَ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَهُ فِي دَارِهِ"^{١٨}، ومن ذلك تغطية الآنية عند النوم، ومن ذلك قول رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ فَكُفُّوا صَبِيَانَكُمْ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَحُلُّوهُمْ فَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَاباً مُغْلَقاً وَأَوْكُوا قِرْبَكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وَحَمَرُوا آيَاتَكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وَلَوْ أَنْ تَعْرَضُوا عَلَيْهَا شَيْئاً وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ"^{١٩}

علاقة الفكر بالسلوك

سلوك الإنسان في الحياة عبارة عن انعكاس لمفاهيمه وأفكاره، وهذه الحقيقة كفيلة بأن تجيب عن

^{١٤} القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الجامع لأحكام القرآن، بيروت- دار إحياء التراث العربي، ج٦ ص٦٤

^{١٥} انظر مثلاً أبو بكر الجصاص، أحمد بن علي الرازي: أحكام القرآن، تح محمد الصادق قمحاوي، بيروت- دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ، ج١ ص٣٣.

^{١٦} للمزيد انظر: الجبوسي، عبد الله: البناء النفسي للمسلم في ضوء السنة النبوية، بحث منشور في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة قطر، ع ٢٥ - ٢٠٠٨م.

^{١٧} رواه مسلم، الصحيح، باب كراهية الشرب قائماً، ح(٣٨٨٦).

^{١٨} صحيح البخاري، باب الشرب من فم السقاء، ح(٥٣٢٨).

^{١٩} صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب تغطية الإناء ح (٥٣٢٤).

التساؤل الذي يبحث في أي الأمرين يؤثر في الآخر

الفكر في السلوك والوجدان؟

أم السلوك مؤثر في الفكر؟

علما أن المسألة كان قد عرض لها علماء النفس الحديث، وكانت تتراوح مذاهبهم ما بين من يقول إن الفكر أصل في السلوك ومن يقول بأن السلوك مؤثر في الفكر^{٢٠}.

لكن من الواضح أن فكر الإنسان هو الذي يؤثر في سلوكه، ولهذا فإن المهمة التي تنتظر المربين تكمن في توجيه الدراسات إلى كيفية ضبط الفكر والعناية به، فما السلوك إلا ترجمة لما تنطوي عليه النفس من أفكار، أما إذا تركزت التوجيهات إلى سلوك الإنسان وكانت المحاولة تنصب على تغيير السلوك دون اخذ بالاعتبار للفكر الذي تنتجه النفس فإنما مثله في هذا مثل الطبيب الذي ينشغل بمعالجة آثار المرض التي تظهر على جسم الإنسان دون نظر إلى ما يسبب هذه الآثار.

طريقة القرآن في تنمية الفكر الإنساني

حفل القرآن بالتوجيهات والتدابير التي كان هدفها تنمية الفكر الإنساني، فقد تكررت الدعوة للتفكير في موجودات هذا الكون وفي النفس، وزود الإنسان بوسائل المعرفة وسهلت له مهمة الوصول للمعلومة، وأرشدته إلى سبل استثمار المشاهدات في تشكيل الفكر: قال تعالى: $v \quad u \quad t \quad s$

$w \quad x \quad y \quad z \quad | \quad \{ \sim \text{الْشَّأَةُ} \text{الْآخِرَةُ} \text{إِنَّ} \text{اللَّهِ} \text{عَلَى} \text{كُلِّ}$

شَيْءٍ قَدِيرٌ © ڇ العنكبوت: ٢٠

وقال سبحانه: ڇ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً © مَا

تَشْكُرُونَ ⑩ ڇ الأعراف: ١٠ وقال سبحانه: ڇ $r \quad q \quad p \quad o \quad n \quad m$

$u \quad s \quad w \quad v$ ڇ الذاريات: ٢٠ - ٢١

ولعلنا نحمل أبرز الوسائل التي اتبعها القرآن في توجيه الإنسان نحو تنمية فكره في الآتي^{٢١}:

²⁰ حرماً، نايف: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، (الكويت: عالم المعرفة، ط ٢، ١٩٧٩م)، ٢١٦-٢١٨. وانظر أبة صالح، أمان سليمان حمدان: التصور اللغوي عند الإمام الفخر الرازي، رسالة ماجستير قدمت لكلية اللغة العربية، الجامعة الأردنية، عام ١٩٩٥م، ص ٢٣-٣٣.

²¹ للمزيد انظر مصطفى الحوامدة، مهمة القرآن في تنمية التفكير المنظومي لدى الإنسان، مجلة جامعة دمشق، مج ١٩، ع ٢، ٢٠٠٣م.

- ١- الحث على طلب العلم: فقد قال سبحانه: \bigcirc 1 2 3 4 طه: ١١٤ ،
وميز سبحانه بين المتعلم وغير المتعلم، قال سبحانه: $\text{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}^{\text{ط}}$ $\text{ي} \text{ى}$ $\text{أُولُوا الْأَلْبَابِ}^{\text{٩}}$ چ الزمر: ٩.
٢- ارشد الإنسان إلى أن الواقع هو مجال التفكير، ولم يطلب منه أن يفكر في غير ما يقع تحت إدراكه، ونهاه عن الخوض فيما لا يقع تحت استعداداته، قال سبحانه: $\text{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ}^{\text{ع}}$
 $\text{إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ ي} \text{ى}$ $\text{عَنْهُ مَسْئُولٌ}^{\text{٣٦}}$ چ الإسراء: ٣٦
٣- حذر من اتباع الظن والقول على الله بغير علم: $\text{چ} \text{چ}$ H I چ چ N O P Q
 R چ الجاثية: ٢٤ وقال: μ $\text{آلَظَنَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ}^{\text{١١٦}}$ چ
الأنعام: ١١٦ چ 1 2 3 4 5 6 7 8 9 ف ف ف ف ف چ النجم: ٢٨
نماذج قرآنية تبرز أثر الفكر في السلوك:

وقد لمسنا من خلال ما حدثنا القرآن عن أخبار الناس كيف يؤثر الفكر في سلوكهم، فتتغير تبعاً لذلك كلماتهم ويتغير أسلوبهم، وفيما ذكرناه في موضع من هذا البحث ما يؤكد هذه الحقيقة.
وقدم لنا القرآن نماذج بشرية كانت تعيش حالة من الاضطراب في بعض الجوانب المتقدمة فكان لذلك انعكاسه على حياتها، فكان أن تبدلت حالتها، وفقدت نعمة الامن والاستقرار وأخذت تنشدها الاستقرار في غير الهدى الذي رسم لها، فكان أن عاجلتها النتيجة التي حذر منها القرآن.
والتأمل في قصص القرآن وأخبارها يدرك دون عناء أن الجانب الفكري في الإنسان هو الأبرز، وهو الذي يضمن للنفس نعمة التوازن والاستقرار، كما أن حدوث أدنى خلل في هذا الجانب يفضي إلى نتائج هائلة في سلوكيات الفرد.

وقد يوضح هذا أن الجانب الفكري في الإنسان يمثل السلطة التنفيذية في جسمه ، مما يعني أن أي تغيير يطرأ على الفكر يدخل حيز التنفيذ المرحلة التي تلي فتظهر على السلوك، وفي قصص القرآن لمسنا أن الفكرة حين تلامس الوجدان تتغير المشاعر، ويتغير تبعاً لها السلوك وتسخر كل طاقة في سبيل هذا الغرض يوضح هذا ما كان من حال سحرة فرعون الذين قدموا ليحققوا هدفاً أرادته فرعون، وفي سبيل نجاحه كان الإغراء بأنواعه (بالمال والجاه) ، قالوا ان لنا لأجراً إن كنا نحن الغالين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين)

وتأمل حالهم بعد التغير الذي طرأ على فكرهم... وتأمل كيف دخل حيز التنفيذ، وكيف سخرُوا كل ما لديهم من مشاعر وافكار وسلوكيات ليعبروا فيها عن هذا التغير:

§ فالسجود علامة التغير في السلوك. (وألقي السحرة ساجدين)

§ والكلام علامة التغير في الفكر. (إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا..)

§ والرضا بما سيؤول إليه حالهم بعد التهديد علامة التغير في الوجدان (فاقض ما أنت قاض).

وتنوعت مشاهد القصص عبر القرون تقص علينا من أخبار من سبق وترسم لنا بالواقع كيف يمكن لهذا الفكر - إن تغير - أن يحقق ذلك التغير في السلوك والمشاعر والوجدان.

وفي القرآن نماذج كانت تحمل أفكارا تدافع عنها بما أوتيت، ثم لما حصل لها التغير في الفكر لمسنا ذلك التغير في السلوك، وقد يصلح مثالا لهذا موقف نسوة المدينة وامرأة العزيز:

Ø تأمل كيف عاب النسوة أولا على امرأة العزيز صنيعها، وحدثنا القرآن عن ذلك: **وَقَالَ**

نِسْوَةٌ **ي** **ي** **أُمَرَأَتُ** **جَا** " **#** **\$** **%** **پ** **پ** **پ** *****

6 **5** **4** **3** **2** **1** **/** **.** **-** **,** **+**

D **C** **B** **A** **@** **?** **>** **ف** **ف** **ف** **ف** **9** **8** **7**

T **S** **R** **Q** **P** **O** **ج** **ج** **ج** **ج** **I** **IG** **F** **E**

X **W** **V** **U** **ج يوسف: ٣١ - ٣٢**

فقد صارت الرذيلة في أذهانهم فضيلة وانقلب ما كان معييا بالأمس ليكون مطلب اليوم ، وما ذلك إلا نتيجة لتغير الفكرة في أذهانهم، وبهذا نستطيع أن ندرك أسرار التحول في السلوك تبعا للفكر.

Ø ولعل في قصة الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك ما يشير إلى تغير السلوك نتيجة تغير الفعل، ففيما قصه الله علينا من أخبارهم ما يشير إلى افتقارهم إلى مسألة الأمن، والأمن الذي كانوا ينشدونه، من طرف المجتمع فهو أمن نفسي، حتى أضحوا ينظرون إلى هذه الدنيا رغم اتساعها إلى أنها ضيقة بهم، وما ذلك إلا لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه هجروا الحديث معهم، فكانت عزلة الكلام معهم ، ولم تتطور إلى عزلة الخلطة، ومع هذا نجد التعبير القرآني ينقل لنا ما كان عليه حالهم حينما افتقدوا نعمة الأمن، ولنا أن نتأمل التعبير القرآني في ذلك، قال

سبحانه: چأ " # \$ % پ پ پ * + ,
8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . -

9 قش ف ف ف > ? @ A چ التوبة: ١١٨.

ولو تأملنا ما آل إليه تفكيرهم لحظتها لأدركنا أن النفوس كادت تنهار لولا عصمة الإيمان التي كانت موجودة قبل، وهذا ما يؤكد دور الإيمان في تحقيق الأمن النفسي.

ومن المواقف التي عرض لها القرآن وفيها ما يشير إلى أثر الأمن النفسي على السلوك والمشاعر والأحاسيس، ما قصه الله علينا من تغشية النعاس على المؤمنين يوم بدر، فالمعروف أن النفوس القلقة لا يأتيتها النوم إلا بشق الأنفس، وأما النفوس التي هي في ميدان القتال فيكفي أن يكون القتال والحال مدعاة للحضور والانتباه واليقظة، لكن فيما قصه الله تعالى علينا من تغشية النعاس عليهم ما يدل صراحة على درجة الطمأنينة والسكينة التي كانوا عليها، وهو ما سجله القرآن

بقوله: چ - . / 0 1 2 3 4 5 6 7

9 8 ق ق ق ف ف ف > ? @ A چ الأنفال: ١٠ وقوله چ B

O N چ چ چ I H G F E D C

X W V U T S R Q P چ الأنفال: ١١

وفي هذا يقول سيد قطب: أما قصة النعاس الذي غشي المسلمين قبل المعركة فهي قصة حالة نفسية عجيبة ، لا تكون إلا بأمر الله وقدره وتديره . . لقد فزع المسلمون وهم يرون أنفسهم قلة في مواجهة خطر لم يحسبوا حسابه ولم يتخذوا له عدته . . فإذا النعاس يغشاهم ، ثم يصحون منه والسكينة تغمر نفوسهم؛ والطمأنينة تفيض على قلوبهم (وهكذا كان يوم أحد . . تكرر الفزع ، وتكرر النعاس ، وتكررت الطمأنينة^{٢٢} .

ويتكرر المشهد في أحد حين تكون النفوس مجهدة، والقلق يلفها مما أصابهم، فيتزل قوله تعالى في

" قال سبحانه: چأ

1 0 / . - , + * % پ پ پ

²² قطب، سيد، في ظلال القرآن ، بيروت- دار الشروق، ج: ٣، ٣٧٢.

2 3 4 5 6 ج آل عمران: ١٥٤

Ø وفي قصة أهل الكهف ما يجسد هذا أيضا حين قال ج r q p o

v u t s ج الكهف: ١١ وفي هذا يقول سيد - أيضا- : "فهؤلاء الفتية الذين يعتزلون قومهم ، ويهجرون ديارهم ، ويفارقون أهلهم . ويتجردون من زينة الأرض ومتاع الحياة . وهؤلاء الذين يأوون إلى الكهف الضيق الخشن المظلم . هؤلاء يستروحون رحمة الله . ويحسون هذه الرحمة ظليلة فسيحة ممتدة . ج * + , - . ج الكهف: ١٦ ولفظة { ينشر } تلقي ظلال السعة والبحبوحة والانفساح . فإذا الكهف فضاء فسيح رحيب وسيع تنتشر فيه الرحمة وتتسع خيوطها وتمتد ظلالها ، وتشملهم بالرفق واللين والرخاء . . إن الحدود الضيقة لتتراح ، وإن الجدران الصلدة لترق ، وإن الوحشة الموغلة لتشف ، فإذا الرحمة والرفق والراحة والارتفاق.

إنه الإيمان . . وما قيمة الظواهر؟ وما قيمة القيم والأوضاع والمدلولات التي تعارف عليها الناس في حياتهم الأرضية؟ إن هنالك عالماً آخر في جنبات القلب المغمور بالإيمان ، المأنوس بالرحمن . عالماً تظله الرحمة والرفق والاطمئنان والرضوان "٢٣.

مقومات الأمن النفسي

هذا المبحث يأتي بعد استعراض بعض المواقف التي قصها الله علينا ، وكنا قد سقناها لندلل على دور الأمن في تقويم الفكر لدى الإنسان ، وأثر الاستقرار في حياة الإنسان على فكره، ويمكن إجمال المقومات التي تجلب الأمن للنفس في الآتي:

العقيدة الصحيحة: فهي التي تزود النفس بالإيمان، فالإيمان يزود المرء بالتفكير السليم النقي ويخلصه مما قد يحجر على العقل أو يمنعه من الانطلاق، وفي سبيل ذلك:

١ - وجدنا التوجيهات تنتقد المرء الذي ينحى إلى التقليد الأعمى دون إعمال الفكر والتمسك بموروثات

الآباء والأجداد، من ذلك قوله تعالى: ج بَلْ قَالُواْ ى ى ءَابَاءُنَا عَلَيَّ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى

ءَاثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ج الزخرف: ٢٢ .

٢ - كما وجدنا العقيدة قد خلصت المرء من اتباع الظن وذمت اتباع الهوى، وعابت على من يقبل الأمور

j i h g f ڊون تفڪير، ويسلم ٻها ڊون اُن تمر على العقل، چڱ ڪڱ

k چ يونس: ٦٦ .

٣- وفي سبيل إعمال العقل فقد طلبت إليه أن ينطلق في آفاق الكون والنفس معا دون قيد أو حد، وكررت دعوته للتفكير في كل ما يدركه العقل،

٤ - أما فيما لا طائل للعقل فيه و ما لا يدخل ضمن حدوده فقد حرصت العقيدة على تزويده بما صافية نقية من كل شوائب، وأرشدته إلى التفكير السليم فيها، وهي التي تدخل ضمن الغيبيات، و بينت أن سير المرء في غير هدي هذه العقيدة يفضي به إلى الخرافات والأوهام التي تلاحق الفكر وتحجب عنه الرؤية الصحيحة.

٥ - وجدناها قد شجعت على طلب العلم وأرشدت إلى وسائله، وفتحت آفاق العقل للسير في كل مجال يدفع به إلى التزود بالمعرفة الصحيحة، ولا عجب فأول نص حملته هذه الرسالة كان (إقرأ) لتكون حرباً على الجهل وعنواناً على احترام العقل وفتح المجال للرحب أمامه.

٦- ركز القرآن توجيهاته على التفكير لينمي فيه التربية الفكرية النابعة من هدي القرآن لأن التربية الفكرية هي الموجه الحقيقي لسلوك الفرد.

٧- وفي إيمان المسلم بالقدر ما يعصم النفس من كثير مما تتعرض له النفس الإنسانية، حيث يتقبل كل امرء ويسلم بأمر الله تعالى.

٨- وفي مبدأ الجزاء الإلهي العادل ما يحقق الأمن النفسي، إذ تطمئن إلى أن ما يتعرض له المرء من الآخرين مهما كان سيئاً جزاءه العادل من الله تعالى.

۹- ذکر اللہ تعالیٰ، فهو مجلبة للاستقرار فقد قال سبحانه چ م بی بی قُلُوْهُمْ یَذِکْرُ اَللّٰهُمَّ اَلَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢٨﴾ چ الرَّعْدُ: ٢٨ قال سبحانه: چ 7 8 9 ف ف

y H G F E D C B A @ ? > **x**

الأنفال: ٢ قال سبحانه: چ گ m l k j i h g f

8 قال سبحانه: چ ۳۵ t s r q p o n

F E D C B A @ ? > ۹ ۸ ۷ ۶ ۵ ۴ ۳ ۲ ۱

V U **S** R Q P O N ञ ण ण ण ण I H G

Y X W \ چ الزمر: ٢٣

" وغفلة النفس عن ذكر الله تعالى مجلبة للقسوة والقلق النفسي ، قال سبحانه: چأ

4 3 2 1 0 / . - , * % \$ پ پ پ پ پ پ

v u t s r چ الزمر: ٢٢ قال سبحانه: چ

{ ~ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } z y x w

٤٥ چ الزمر: ٤٥

١٠- الصبر: يعد الصبر من الوسائل القوية التي يستعين بها المسلم على تخطي الأزمات التي تمر به في حياته، وما أعدده الله من جزاء للصابرين يشجع النفوس على الطمأنينة حتى في أشد الظروف التي تمر بها، ولعل في إطلاق الجزاء لهم دون حساب ما يدفع النفوس إلى هذه الوسيلة لتكون مصدرا للطمأنينة، قال سبحانه:

چ إِنَّمَا يُؤَقِّقُ ç é è è چ الزمر: ١٠

١٢ - البعد عن الذنوب وتجنب الوقوع في المعاصي، المعصية مصدر قلق وفرع للنفس ، وفي هذا يقول ابن القيم: ابن القيم في آثار المعاصي والذنوب قال : قلة التوفيق ، وفساد الرأي ، وخفاء الحق وفساد القلب وخمول الذكر ، وإضاعة الحق ، ونفرة الخلق ، والوحشة بين العبد وبين ربه ، ومنع إجابة الدعاء ، وقسوة القلب ، ومحق البركة في الرزق والعمر ، وحرمان العلم ، ولباس الذلّ ، وإهانة العدو وضيق الصدر والابتلاء وطول الهم والغم بقرناء السوء وضنك المعيشة وكسف البال ، كل ذلك يقول : " وهذا تتولد عن المعصية والغفلة من ذكر الله كما يتولد الزرع من الماء " ٢٤.

أما آثار هذه التوجيهات عمليا فيمكن إجمالها في الآتي:

١ - تنمية الحس الخلقي في الطبيعة الإنسانية وجعل التقوى ضابطا لسلوك الإنسان في السر والعلانية.

٢ - أذكت فيه روح التوازن في التفكير في كل شيء يقع تحت إدراكه من خلال منظومة التوازن التي أقام القرآن عليها توجيهاته، ومن خلال ما بينته نصوص القرآن من حقيقة

24 ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر ، الفوائد، مكتلة الرياض الحديثة - الرياض، ص ٣٢.

التوازن^{٢٥} وكونها مبدأ ثابتاً في كل شيء ، وتأمل معي هذا النص الكريم 7 8

B A @ ? > ف ف ف ف 9 8 7

ج الحجر: ١٩ ، فهذا المبدأ شمل كل شيء ومنه قوله ٨ حَقَّقْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ

شَيْءٌ © ٢ وقوله ٨ ۞ إِنَّا كُلَّ تَمَّ خَلَقْنَاهُ تِي

T S R Q P ۸ ومنه قوله القمر: ٤٩.

U V W X Y Z \ چق:۶ ومنه قوله 8

g f گ گ گ گ گ گ ک ک] \ چڑ ژ

h i j چ الرحمن: ۷ - ۹

٢ - الشريعة:

منهج القرآن ليس بمجرد عقيدة، بل هو عقيدة تفضي إلى شريعة، وفكرة يقوم على أساسها نظام كامل، ولو تأملنا في هذا الدين لأدركنا كيف حرص الإسلام على تحقيق هذا الأمن من خلال ما ضمنه للنفس الإنسانية، فالضرورات الخمس التي تحدث عنها علماء الأصول هي ضمانات حقيقية لتحقيق معنى الامن للنفس أي نفس، وما الأمن الذي ينشده الإنسان إلا من هذه الجهات:

العقل، والمال والنفس والدين والنسل.

وإذا ما انتقلنا إلى الحديث عما شرعه الإسلام من أحكام هدفها تحقيق الأمن النفسي فإن الأمر سيبدو أكثر جلاء ووضوحاً فهي من الكثرة بحيث نجد فيها في أغلب جوانب التشريع:

فمن التشريعات المرتبطة بالدين والحفاظ عليه

١- النهي عن الجلوس مع الخائضين في دين الله تعالى المثيرين للشبهات والشهوات. قال الله تعالى: "وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" [الأنعام: ٦٨].

ومن ذلك تحذيره صلى الله عليه وسلم من جلوس السوء الذي يجير جلسيه إلى الضلال والانحراف في الاعتقاد والسلوك. قال صلى الله عليه وسلم: «مثل الجلوس الصالح والجلوس السوء كحامل المسك

٢٥ للمزيد انظر مهمة القرآن في تنمية التفكير المنظومي لدى الإنسان، مصطفى محمود حوامدة، مجلة جامعة دمشق، م ١٩ / ٢٤، ٢٠٠٣م / ص ٥٩٠.

ونافخ الكبر. فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة. ونافخ الكبر إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة» (١٢). وجليس السوء قد يكون من أهل الشبهات أو أهل الشهوات.

٢- التحذير من اتباع الشياطين في المسار الفكري، قال تعالى: (وإن الشياطين ليوحون ...

٣- النهي عن الجدال في الدين، والمراء فيه؛ لأن ذلك يقود إلى التعصب والهوى، والتكبر على الحق؛ وبالتالي الانحراف عن الدين الصحيح. قال الله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" [غافر: ٥٦].

٤- ولعل مشروعية الهجرة في سبيل الحفاظ على الدين من أجل الأمن الذي ينشده الشرع: (ومن يهاجر) وقوله تعالى: (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي

٤- الجهاد بأنواعه، ومنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من حكم مشروعيته حماية الدين (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، ولولا ذلك لفسد على الناس دينهم. قال الله تعالى: "وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْذَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ.

ثانياً: ما ورد من الأحكام الشرعية للحفاظ على النفوس وأمنها ودرء الفساد الواقع والمتوقع عليها:

أ - النهي عن الاعتداء على النفس بالقتل وتحريمه فقد قال سبحانه: چ آ % \$ # " .

پ پ پ پ * + , - . / 0 1 2 3 4

5 6 7 8 9 ف ف چ المائدة: ٣٢ .

ب - وشرع الله عز وجل القصاص في قتل العمد، حفاظاً على الأنفس، وحياة لها وذلك في قوله تعالى:

چ Y ژ ژ \ [ك ك ك گ گ گ f g i

w v u s r q p o n m l k j

x y { | } ~ فَلهٗ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ چ البقرة: . وتوعد الله عز

وجل قاتل العمد بالعذاب العظيم يوم القيامة قال سبحانه: چ گ گ گ f g

r q p o n m l k j i h

S چ النساء: ٩٣ ، كما شرع الكفارة في قتل الخطأ وذلك في قوله تعالى: "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ

مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا... (الآية)

[النساء: ٩٢]

[illegible]

د- ... الأمر بالأكل والشرب من غير إسراف، قال تعالى: "چھ " # \$ % پ پ
پہ * + , . / O 1 2 3 4 5 6 7
8 9 ف ف ف ف ف ؟ @ A B C D E F G H I

چ چ چ چ O N چ الأعراف: ٣١، ٣٢] وذلك للحفاظ على بقاء الحياة، وقوة الجسم، وصحته. ومن ذلك إباحة أكل الميتة والمحرمات عند انعدام الأكل الحلال من باب الضرورة للحفاظ على النفس من التلف، قال تعالى.

چ \] ک ک ک ک ک گ گ گ گ ف g i j k l m n o p q r s t u v w چ البقرة: ۱۷۳ " [البقرة: ۱۷۳].

ومنه النهي عن الإشارة بالسلاح إلى المعصوم خشية إيذائه بجرح، ومنه الوعيد الشديد على من يضرب أبشار الناس.

ومنه الأمر بالتداوي للمحافظة على عافية البدن والنهي عن إيراد ممرض على مصح وبخاصة إذا جعل الله عز وجل في المرض خاصية العدوى. قال صلى الله عليه وسلم : «إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداوا ولا تداوا بحرام»^{٢٦}

ثالثاً: ما ورد من الأحكام الشرعية في حماية العقل مما يتلفه أو يضره ويؤمنه من الشرور:

²⁶ رواه أبو داود، الجامع: (٣٨٧٤) وصححه الألباني في صحيح أبو داود.

أ- تحريم كل مسكر ومخدر، ومذهب للعقل، أو مضعف له قال الله عز وجل: " چ أ " #
\$ % پ پ پ پ * + , - . / O چ المائدة: ١٢٠
وقد رتب الشارع حد الجلد عقوبة لشارب المسكر.

ب- التحذير من الوسوس والخواطر التي تؤذي العقل وتحريم كل ما من شأنه أن يتلف العقل، أو يضعفه،

رابعاً: ما ورد من الأحكام الشرعية في المحافظة على عرض المسلم ونسله وحمايتها من الاعتداء.
أ- تحريم التجسس على المسلم، وإساءة الظن به، وتحريم الغيبة والنميمة حماية لعرض المسلم من أن ينتهك،

أو يمس بسوء. ولما في ذلك من الإفساد والإحزان للمسلم. قال الله تعالى: چ أ " # \$
% پ پ پ پ * + , - . / O 1 2

4 5 6 7 8 9 ف ف ف ؟ @ A B C D
چ الحجرات: ١٢

ب- ... تحريم السخرية والتنايز بالألقاب لما في ذلك من إحزان المسخور منه، ولما يترتب على ذلك من الشحناء والإحسان والبغضاء. قال الله عز وجل: چ E F G H I چ چ چ
N O Q R T S U W X Y Z ث ث چ. الحجرات: ١٣

ج- الأمر بغض البصر حماية للعرض والنسل؛ چ N O P Q R
S T U V W X Z ث ث \] ك ك ك ك گ گ گ
f g h i j k l m چ النور: ٣٠ - ٣١

د- نهي النساء عن التبرج، وإظهار الزينة المحرمة للرجال الأجانب، وأمرهن بالحجاب حفاظاً على الأعراض والأنساب. قال تعالى: چ m n o p q r s t

u v w x y z { | } ~ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾
چ الأحزاب: ٥٩، ومن ذلك النهي عن الخلوة بالمرأة الأجنبية لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم»^{٢٧}.

²⁷ البخاري (٥٢٣٣) ومسلم (١٣٤١).

هـ - تحريم سب المسلم، ولعنه قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» (٢٨) وقوله صلى الله عليه وسلم: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»^{٢٨}.

و- تحريم الزنا والعقوبة المغلظة لمرتكبه وذلك بالرجم حتى الموت للمحصن أو الجلد مائة جلدة للبكر مع التغريب.

ز۔ تحریم قذف المسلمین والمسلمات فی أعراضهم، دون بینة شرعیة و فی ذلك صيانة لعرض المسلم من الابتذال وإشعار له بالأمن والأمان. قال تعالى: چ \ [ک ک ک گ گ گ گ

٤ p o n m k j i h g f ٥

ح - ... تحريم إيذاء الجار والاعتداء عليه. قال صلى الله عليه وسلم: «والله لا يؤمن . والله لا يؤمن. والله لا يؤمن. قيل ومن يارسول الله. قال الذي لا يأمن جاره بوائقه»^{٢٩}

خامساً: ذكر بعض ما ورد من الأحكام الشرعية التي تحفظ للمسلم ماله وتحميه مما يهدد أمنه وسلامته.

أ- تحريم الغش في البيع والشراء، وكل ما من شأنه أن يكون أكلاً للمال بالباطل، قال تعالى: **9**

G F E D C B A @ ? > ث ق ف ع

۲۹ النساء: ﴿٢٩﴾ R Q P O N ج ج ج ج ا

ب- حماية الأموال من السرقة ووضع حد قطع اليد للسلار وقطع اليد ، كما في قوله تعالى: بـ

8 7 6 5 4 3 2 1 0 /

فق ح المائدة: ٣٨

ح - الأمر بكتابة الدين حفظاً لمال المسلم من الضياع، قال تعالى: **جاً** " **#** \$ %

پ پ پ پ *

د - تحريم الربا حماية للفقراء والمحتاجين من تسلط الأغنياء على اموال الفقراء: چ U V

$\{z \mid y \times w\}$
 إن كنتم مؤمنين ﴿٢٧٨﴾
 البقرة:

278

28 البخاري (٤٨) ومسلم (٦٤).

29 البخاری (۶۰۱۶).

هـ- الإذن لمن اعتدي على ماله بالدفاع عن ماله. ولو قتل بسبب ذلك فهو شهيد قال صلى الله عليه وسلم: «من قتل دون ماله فهو شهيد» (٣٤).

و- تحريم الغلول والأكل من المال العام بغير حق، قال تعالى: "ا k j i h g" و "x w v u t s r q p o m" آل عمران: ١٦١.

١٦١ ز- وجوب رد الحقوق والأمانات إلى أهلها. قال الله تعالى: ﴿اَللّٰهُ يَأْمُرُكُمْ اَنْ تُؤَدُّوْا اَلَّذِيْنَ كُنْتُمْ اِلَيْهَا ۖ اَهْلُهَا﴾ النساء: ٥٨

ح- تحريم شهادة الزور وتحريم الخيانة والغدر في العقود والعهود، والكذب فيها؛ لأن ذلك من خصال المنافقين؛ وفيها ضياع حق المسلم وذهاب ماله قال الله تعالى: "اَجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْاَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ" الحج: ٣٠ وقال: ﴿اَجْتَنِبُوا الرِّجْسَ﴾ [ك] المائدة: ١

هذا بعض ما ضمنه الإسلام لمن دخل فيه من الأمن النفسي، والاطمئنان القلبي الناشئين من الإيمان بالله تعالى، ومعرفته، والأنس به واليقين ببقائه. وبما فيه من الأحكام الشرعية التي تضمن الأمن للمسلم في دينه ونفسه وعقله وعرضه وماله .

وبهذا ندرك أن كلّ ما يزرع الأمن والطمأنينة في نفوس الناس فهو داخل في مفهوم الأمن ، وكل ما يُدخل الخوف في نفوس الناس فهو داخل في نواقض الأمن ومنغصاته كالبطالة والانهيار الاقتصادي والحروب والكوارث الطبيعية وتفكك الأسر ونشر الثقافات الضارة

ولعلنا لو أردنا أن نتحدث عن خلاصة ما يتسبب بانعدام الأمن النفسي، فإننا يمكن أن نجملها في الآتي:

- ١- تضيق دائرة الحرية الفكرية.
- ٢- تحجيم دور الفرد في الأسرة والمجتمع.
- ٣- عدم تأمين الحاجيات الأساسية له.
- ٤- غياب دور المربين والمعنيين ببيان حقائق الشرع، وعدم الالتفات إلى ضرورة وجود مرجعيات دينية.
- ٥- فشو الأمراض البدنية بشتى أنواعها للفرد، والاجتماعية بالنسبة للمجتمع ومن ذلك : الفقر والبطالة والجهل والعصبيات، وغيرها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

نتائج البحث وتوصياته

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، يمكن إجمالها في الآتي:

- ١- الأمن مطلب لكل نفس، فهي مجبولة على طلبه، وقد ضمن الإسلام للنفس أنواع الأمن في شتى مجالاتها، وبين أنه لا يمكن للنفس أن تصل إلى حالة الطمأنينة هذه إلا في ظل الإيمان.
- ٢- الإنسان منذ أن عرف الحياة بدأ ينشد الأمن النفسي من خلال البحث في موجودات الحياة سعياً لتلبية متطلبات حياته، فهو في سبيل الحصول على الأمن النفسي يحب ويكره، ويكد ويتعب.
- ٣- حينما يتحصل للمرء الأمن النفسي ينطلق بفكره نحو التقدم في شتى جوانب الحياة، والأمن النفسي يدفع بالمرء إلى عمق في التفكير.
- ٤- الإنسان لا يمكن أن ينتج فكراً سليماً إلا إذا كان يتمتع بصحة جيدة.
- ٥- وجدنا أن نصوص القرآن توازن في خطاباتها بين عقل الإنسان وعاطفته، فتارة تخاطب العقل، وتسوق له الأدلة وتقنعه بالحجة والبرهان، وأخرى تخاطب فيه المشاعر والأحاسيس وتبرز الجوانب الوجدانية وفي هذا وذاك تتمزج النصوص لتزود الروح بما تنشده من حقائق تحقق للروح توازناً.
- ٦- أعطى الإسلام للإنسان كامل الحرية ولم يحجر على عقله في ميدان التفكير، بل دفع لإلى آفاق الكون والنفس.
- ٧- فكر الإنسان هو الذي يؤثر في سلوكه، والمهمة التي تنتظر المربين تكمن في توجيه الدراسات إلى كيفية ضبط الفكر والعناية به، فما السلوك إلا ترجمة لما تنطوي عليه النفس من أفكار. ويمثل الجانب الفكري في الإنسان السلطة التنفيذية وأي تغير يطرأ على الفكر يدخل حيز التنفيذ المرحلة التي تلي فتظهر على السلوك
- ٨- تقيم العقيدة الإسلامية روح التوازن في التفكير في كل شيء يقع تحت إدراك من يؤمن بها من خلال منظومة التوازن التي أقام القرآن عليها توجيهاته. وأي فكر ينشأ عنها يتسم بروح الاتزان، وما كان خارجاً عن هذا النهج فلخلط طراً على فكر الإنسان.
- ٩- حرص الإسلام على تحقيق الأمن للنفس من خلال الشريعات التي بينها للفرد، فما

- ١٠ - من حكم إلا ويسهم في تحقيق الأمن النفسي للمرأة.
مما يسهم في انعدام الأمن تضيق دائرة الحرية الفكرية، وتحجيم دور الفرد في الأسرة والمجتمع، وعدم تأمين الحاجيات الأساسية له.

توصيات

- ١ - توصي الدراسة بضرورة أن يتصدر المربون دورهم الريادي في علاج الفئات التي يتسرب إليها الفكر المنحرف في المجتمع. وأن تتاح فرصة مماثلة لعلماء الشريعة في إقناع الفئات المنحرفة وتتولى دور بيان العقيدة الصحيحة والفكر السليم.
- ٢ - كما توصي الدراسة بأن تهتم الدولة بتأمين حاجيات الافراد فإن ذلك يسهم في إيجاد بيئة للأفكار المنحرفة.

د. عبد الله بن محمد الجيوسي

قسم أصول الدين - كلية الشريعة

جامعة اليرموك - إربد

الأردن

صاحب الموقع التالي للدراسات القرآنية

www.drjayousi.com

مراجع الدراسة

- ١ - ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور : (المتوفى : ١٣٩٣هـ) (الناشر : مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان : ط ١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م.
- ٢ - ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا، مقاييس اللغة - : - المحقق : عبد السلام محمد هارون - : اتحاد الكتاب العرب ط : ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م.
- ٣ - ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر ، الفوائد، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض.
- ٤ - أبو بكر الجصاص ، أحمد بن علي الرازي : أحكام القرآن، تح محمد الصادق قمحاوي، بيروت - دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ.
- ٥ - أية صالح، أمان سليمان حمدان: التصور اللغوي عند الإمام الفخر الرازي، رسالة ماجستير قدمت لكلية اللغة العربية ، الجامعة الأردنية، عام ١٩٩٥ م.
- ٦ - الجيوسي، عبد الله: البناء النفسي للمسلم في ضوء السنة النبوية، بحث منشور في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة قطر، ع ٢٥ - ٢٠٠٨ م.
- ٧ - الحسن، نبيل محمد رجا، مستوى ومصادر الضغط النفسي لدى طلبة السنة الأولى والثانية في كليات المجتمع الخاصة في عمان والزرقاء، ، رسالة ماجستير في كلية التربية في الجامعة الأردنية نوقشت عام ١٩٩٥.
- ٨ - الحوامدة ، مصطفى محمود، مهمة القرآن في تنمية التفكير المنظومي لدى الإنسان، مجلة جامعة دمشق، مج ١٩، ع ٢، ٢٠٠٣ م.
- ٩ - الخراشي، ناهد عبد العال: أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، (القاهرة: مطابع الأهرام، ط ١، ١٩٨٧ م)،.
- ١٠ - خرما، نايف: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، (الكويت: عالم المعرفة، ط ٢، ١٩٧٩ م).
- ١١ - الدغامين، زياد، منهج القرآن الكريم في صياغة تفكير الإنسان، مجلة دراسات (علوم الشريعة والقانون) الجامعة الأردنية مج ٣٢/ ع ١، ٢٠٠٥ م.
- ١٢ - الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل: المفردات في غريب القرآن/

- دار النشر / دار القلم — دمشق.
- ١٣- سعد، على مستويات الأمن النفسي لدى الشباب الجامعي بحث ميداني عبر حضاري
مقارن، مجلة جامعة دمشق، م ١٥ / ١٤.
- ١٤- السلطان، فؤاد مصطفى الحمد، درجة تحقق حالة الإحساس بالأمن لدى أعضاء هيئة
التدريس في الجامعات الاردنية الرسمية ، رسالة جامعية قدمت في الجامعة الأردنية لكلية
التربية، ماجستير، عام ١٩٩٥م.
- ١٥- السهلي، عبد الله حميد حمدان، الأمن النفسي وعلاقته بالتحصيل لدى طلاب رعاية
الأيتام بالرياض، رسالة جامعية قدمت لكلية الدراسات العليا / بأكاديمية الأمير نايف
العربية للعلوم الأمنية.
- ١٦- الشويعر، محمد بن سعد، أثر الإيمان في إشاعة الاطمئنان، مجلة البحوث الاسلامية،
- ١٧- الطحائية، زياد لطفي سليمان: مستويات الاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الرياضية
في الاردن وعلاقتها ببعض المتغيرات، رسالة ماجستير أعدت في كلية التربية في
الجامعة الاردنية ١٩٩٥م.
- ١٨- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الجامع لأحكام القرآن،
بيروت- دار إحياء التراث العربي .
- ١٩- قطب، سيد، في ظلال القرآن ، بيروت- دار الشروق.